بسم الله الرحمن الرحيم

د/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

٩/ ٤/ ١٤٣٥هـ

«الرحلة السنية إلى المنطقة الشرقية»

مع شيخي عبدالله بن جبرين

لشحذ الهمم ولتقوية العزائم أرويها بالسند العالي، وعليها تصديق الشيخ، كنتُ مصاحبًا له ليعلم طلّاب العلم أنّ أصحاب الهمم العالية لم ولن ينقرضوا بإذن الله، وليدوّن التاريخ أنّ في اللّاحقين من يُذكّر بالسابقين، فجزى الله شيخنا خيرًا وبارك في شأنه كلّه:

- في سنة ١٤٠٩هـ كنتُ مدرِّسًا في ثانوية لتحفيظ القرآن.. واعدتُ الشيخَ أن آتيه بعد صلاة الظهر في دار الإفتاء.. مع الأذان سمعتُ أنّ أحدَ المشايخ موجودٌ في المدرسة فسألتُ عنه فتبيَّن أنه الشيخ، فلمّا قابلتُه قلت: يا شيخ، قد أخبرتُك أني سآتيك؟ فقال: عملي فيه سعةٌ للخروج بخلاف عملك كمدرِّس فأتيتُ لأنّ ذلك أرفقُ بك.
- بعد صلاة الظهر ثمّ السلام على المدرِّسين وجمع كثير من الطلّاب ذهبنا إلى المطار قُرابة الساعة الواحدة والنصف.. ركبنا الطائرة الساعة الثانية والنصف تقريبًا.. وصلنا مطار الظهران بعد العصر، واستقبلنا الأستاذ عبدالله بن عمر السدحان، وكان المنسِّق للمحاضرة مع الشيخ، وركبنا معه في سيارته.. صلينا العصر على جانب الطريق، ثم سلكنا الطريق مرَّةً أخرى.. ووصلنا مدينة الجبيل.. دخلنا منزل الأستاذ عبدالله السدحان.. بعد تناول شيء من القهوة والتمر توضَّأ الشيخ وذهب إلى المسجد الذي ستُقام فيه المحاضرة، واسمه «جامع عبدالله بن مسعود» في مدينة الجبيل الصناعية، وكان أكبر جامع في الجبيل آنذاك، وكان موضوع المحاضرة عن «الولاء والبراء» أو «صفات أهل الإيمان».
- اعتذرتُ من الشيخ في عدم حضور المحاضرة، ولا أدري الآن أين ذهبت.. صليتُ العشاء وتأخَّرت بعد الصلاة قرابة نصف ساعة، ثمَّ أتيتُ المسجد الذي فيه المحاضرة، وإذا بالشيخ يتحدّث فألمح إليَّ الأخ عبدالله السدحان أنّ العَشاء قد جهز بعد العِشاء مباشرةً؛ لأنّ الشيخ لم يتغدَّ، وكنتُ قد أخبرتُه بذلك.
- دخلتُ من باب في قبلة المسجد وهمستُ في أذن الشيخ بجملة مشهورة من قول عُمر ت وهي: «نام النساء والصبيان»، وكان الشيخ إذا تأخّر وقت الدرس في الرِّياض أسرّ بها في أذنه فيبتسم ويختم.
- ختم الشيخ المحاضرة ثمَّ نهض فاجتمع الناسُ حولَه ومشوا معه إلى السيارة، ثم ركب الشيخ واتّجهنا إلى منزل الأستاذ عبدالله السدحان، وهنا حديث موقفٌ طريف.. فقد جاء أحدُ قرابة الشيخ من سكّان الجبيل وطلب من الشيخ أن يتناول طعام العَشاء عنده وألحَّ في ذلك، فأُخبِر أنّ الأستاذ عبدالله السدحان هو المنسِّق للمحاضرة، وقد أخبر الشيخ أنّ العَشاء عنده ووافق الشيخ، وبعد محاولات قنع أثابه الله تعالى.
- وصلنا المنزل واستقبل الشيخ مجموعةٌ من الإخوة... بعد استراحة قصيرة دُعي الشيخ للعَشاء، فقام وقام الناس.. جلس الشيخ على صحن العشاء، وكنتُ على صحن بجانبه، وبدأ الحاضرون في الأكل، واستمرَّ بعض من جلس على صحن الشيخ في توجيه الأسئلة، وكنتُ أنظر إلى الشيخ، ولو حلفتُ أنه لم يرفع يدَه إلى فيه أكثر من أربع أو خمس مرَّات أرجو أن لا أحنث.

المملكة العربية السعودية – الرياض - جوال:٠٥٠٥٤٦٩٩٤٦ alsadhan7@gmail.com

- فرغنا من العشاء، ثم عُدنا للمجلس واستمرَّت الأسئلة إلى قرابة الساعة الحادية عشر.
- ألمح بعضُ الإخوة للحاضرين بترك الشيخ ليرتاح، فانفضُّوا وتركوا الشيخ ليرتاح.. بعد وقت يسير دخل الرجُل الذي ألحَّ في أن يكون العَشاء عنده، وألحَّ على الشيخ أن يُشرِّف منزله، فقلتُ له: إنّ الشيخ قد أجهد فلعله يرتاح، فألحَّ على طلبه فأشار الشيخُ إليَّ وقال: نذهب إليه قليلًا لا يضرّ إن شاء الله.
- ذهبنا إلى منزل الأخ، وجلسنا قرابة نصف ساعة، ثمَّ عُدنا إلى منزل الأخ عبدالله قرابة الساعة الثانية عشر والنصف... هُيِّئ للشيخ مكانٌ خاصٌّ للنوم.
- أيقظنا الأخ عبدالله لصلاة الفجر، فسألتُه عن الشيخ فقال: ذهب قبل أن آتيكم.. صلينا الفجر ورجعتُ مباشرةً إلى المنزل فأيقظني الأخ عبدالله الساعة السابعة والنصف، فلما قمتُ وأتيت المجلس لم أر الشيخ، فأخبرني الأخ عبدالله أنّ الشيخ في المسجد إما يُقرأ عليه في كتاب أو جالس مع مجموعة من الطلّاب يسألونه.
- حضر الشيخ قرابة الثامنة.. وبعد تناول القهوة والإفطار جلس مع ثُلّة من الإخوة مجلسًا علميًّا.
- عند الساعة التاسعة اتّصل أحدُهم من القاعدة البحرية في الجبيل على الأخ عبدالله بشأن موعده مع الشيخ، فقام الشيخ من فوره وذهبنا إلى القاعدة، ووصلناها قرابة الساعة التاسعة والنصف.. استقبل الشيخ ثلّة من الضبَّاط، وتعذّر كبيرُهم بأنّ الجنود قد نزلوا إلى السُّفن وأنّ موعدهم كان الساعة التاسعة، وبعد استراحة قُرابة نصف ساعة طلب كبيرُهم من الشيخ أن ينزل معه إلى السفينة ليُلقي ولو كلمةً على بعض الجنود، وأذكر أنّ أحدَ الضبَّاط تحفّى بالشيخ تحفِّيًا عجيبًا معه المحبّة الصادقة.
- نزلنا مع الشيخ إلى السفينة.. وجلس الشيخ ومعه مكبِّر صوت يدوي قد أمسكه بيده، وأخذ يُلقي كلمةً فيها نصح وتوجيه، وبدا الإرهاق على الشيخ، وبعدها جلس يتحدّث مع بعض مسؤولي السفينة.. بعدها خرجنا من السفينة واتّجهنا إلى إدارة القاعدة وأذان الظهر يُرفع. قلت للشيخ: نصلي الظهر ثمّ نتّجه إلى المكان المُعدّ لإقامة الغداء ـ الهيئة الملكية ـ.
- صلينا الظهر وبعدما سلّم الإمام مباشرةً وقبل شروعه في أذكار الصلاة أعلن ـ باجتهاد منه ـ لجماعة المصلّين أنّ الشيخ ابن جبرين موجودٌ في المسجد وسيجلس لاستقبال الرَّاغبين، فجلس الشيخ وتوافد عليه بعض المصلّين... بعد قرابة الساعة خرجنا من المسجد واتّجهنا إلى الهيئة الملكية.. دخلنا المكان المعدّ للإقامة، وفي صالة الطعام جلس الشيخ.. وقبل تناول طعام الغداء جلس الشيخ ومعه إخوة يسألونه.. وبعد تناول طعام الغداء قال الشيخ: سنقيل قليلًا ـ أو كلمةً بمعناها ـ، ووالله لقد فرحتُ بها وبخاصة أنه الذي قالها.. فألمحتُ لأحد الإخوة المسؤولين في الهيئة فقال: هناك غرفتان للنوم، واحدة للشيخ والأخرى لمرافقي الشيخ، فلما قام الشيخ إلى غرفته مشى معه شابٌّ وقال ـ وأنا أسمع ـ: يا شيخ عندي موضوعٌ شخصيّ أرغب في عرضه عليك.. فقبِل الشيخ برحابة صدر ودعاهُ للدخول معه في الغرفة، ودخلنا نحن البقية في الغرفة الأخرى.
- قمنا مع أذان العصر، وخرج الشيخ ومعه ذلك الأخ بعد الأذان.. وبعد الصلاة طلب الإمام من الشيخ كلمةً، فألقى الشيخ كلمةً، ثم اتّجهنا نحو الدمام لأنّ للشيخ محاضرةً هناك... وصلنا الدمام وكانت المحاضرة بعنوان: ..... وكان مكانها: .....

- استأذنتُ الشيخ في زيارة لأخ فاضل زميل لي في كلّية الشريعة، وهو الأستاذ عبدالكريم الحمد، فأذن لي الشيخ، وقلت له: بعد المحاضرة سأكون عند محراب المسجد الذي فيه المحاضرة.. صليتُ العشاء في المسجد المجاور لمنزل الشيخ عبدالكريم الحمد، وتأخّرتُ بعد الصلاة.
- كنتُ أعلم أنّ الشيخ مدعوّ للعَشاء عند الشيخ الشنفري، وقد حصلتُ على هاتفه قبل مفارقة الشيخ.. اتّصلت بالشيخ الشنفري ووصف لي البيت.. ثم أخبرني بنوع من اللوم لطيف أنّ الشيخ انتظر فترةً عند المحراب حسب وعدك واجتمع الناس حولَه، ونظرًا لزحام السيارات طلب رجُل المرور من مرافقي الشيخ أن يكلّموه أن يتكرَّم بالتحرُّك بسيارته من أمام المسجد ليخفّ الزحام.. ولله درّ الشيخ في وفائه بالوعد بالانتظار عند المحراب... فنِعمَ ما فعلَ وبئسَ ما فعلتُ.
- في منزل الشيخ الشنفري حضر جمعٌ من الإخوة.. وبعد مناقشات في مسائل علمية أذكر منها مسألة المجاز في القرآن.. طلب الشيخ الشنفري من الشيخ عبدالله أن يتفضَّل لطعام العَشاء.. بعد الفراغ من العَشاء والعودة إلى المجلس كان هناك ثلاثة أو أربعة أطبّاء من مستشفى الملك فهد ـ رحمه الله تعالى ـ معهم بحثٌ عن أطفال الأنابيب، وطلبوا من الشيخ أن يعرضوا عليه بعض ما أشكل عليهم... وافق الشيخ، ولما استمرَّ البحث معهم قمنا مرافقي الشيخ ودخلنا في المكان المعدّ للنوم.. بعد وقت دخل الشيخ وكان معه دواءٌ يستعمله لعارض في حلقه.
- قمنا لصلاة الفجر... ثم بعد الصلاة حضر جمعٌ ومنهم ذلك الضابط الذي سبق أن ذكرتُه عندما تحفّى بالشيخ تحفّيًا عجيبًا.. تناولنا الإفطار.. فلما حان وقت الضحى ذهبنا إلى المطار.. قبل الركوب في السيارة المتّجهة للمطار جاء إليَّ ذلك الضابط وأخبرني أنه يطلب أن نسمح له بأن يكون الشيخ معه في الدرجة الأولى وأنه سيرافق الشيخ بعد الوصول إلى الرياض إلى القويعية، وأخبرني أنّ الشيخ رفيق لوالده وأنّ والد الشيخ رفيق لوالده، وأظنّ أنه من قبيلة عتيبة.